



# شهريات

## ١ - مع رودنسون ودوبريه

اتيح لي ان التقي الشهر الماضي ، في باريس ، بالمفكرين الفرنسيين العالميين مكسيم رودنسون وريجيس دوبريه طوال ساعتين ، بحضور صديقة الطرفين الكاتبة السورية حميدة نعيم .

وقد تجاذبنا في هذا اللقاء اطراف حديث متنوع تناول مؤلفات المفكرين الفرنسيين الاخيرة ومشاريعهما القادمة .

ولم يدهشني في رودنسون اطلاعه الواسع وثقافته العميقة وملاحظته لشؤون الفكر العربي الحديث . فهذه كلها من ميزات المعروفة منذ وقت طويل . ولكن الذي ادهشني انه ، برغم تقدمه في السن ، ما يزال على دأبه في القراءة والمطالعة والانتاج ، مكرسا حياته للثقافة والعلم ، منقفا كل وقته وسط مجموعة كبيرة من الكتب والمجلدات التي أحالت بيته كله في شارع « فانو » بباريس الى مكتبة ضخمة ترودها ارواح الفلاسفة والمفكرين والادباء .

وقد اتفقت مع رودنسون على اصدار ثلاثة كتب له تضم مجموعات من دراساته الاخيرة في الفلسفة والشؤون العربية واليهودية ، وترجم الى العربية ، ونشرها « دار الآداب » ، حتى قبل ان تصدر باللغة الفرنسية .

اما ريجيس دوبريه ، فقد وجدته أفتى مما توحيه حياته من نضال وسجن ، ومما توحيه كتبه من معاناة وثقافة عميقة . ولكنني لم أكن اتوقع منه هذا القلق الذي يبدو في بعض حركاته العصبية وشروده بين الفينة والفينة .

وبعد ان حدثته عن كتبه التي ترجم اكثرها الى العربية ، ولاقت رواجاً واعجاباً لدى قرائنا ، طرحت عليه السؤال الذي راودني منذ عرفت اني سألقاه .

— أنت المهتم بقضايا نضال شعوب امريكا اللاتينية بحيث خصصتها بأهم كتاباتك ، لماذا لا تجد لديك اية

اشارة الى نضال الشعب العربي والى قضيته الاولى : فلسطين ؟

أجاب ريجيس دوبريه ببساطة :

— انني لا استطيع ان اهتم بجميع قضايا العالم !

قلت له معلقا :

— اننا نحن العرب مهتمون جدا بكل نضالات الشعوب ، ولا سيما نضال شعوب امريكا اللاتينية لانه يمثل نضالنا ضد الاستعمار والامبريالية الاميركية وحليفها اسرائيل . .

وصمت لحظة قبل ان اضيف :

— ولا بد من ان تعرف ان المثقفين عندنا تابعوا بقلق انباء اعتقالك وسجنك بعد ان قرأوا كتاباتك عن كاسترو وتشني غيفارا ، وكتبوا يحيونك على موافقك . .

وأحسست من تردده بعض الحرج الذي حاول ان يتخلص منه بقوله :

— لا بد من ان اعترف بأن اهتماماتي بنضال شعوب الخارج ، كانت ، كما أحس الآن ، على حساب اهتماماتي بقضايا فرنسا بالذات . انني اريد الانصراف الآن الى معالجة الشؤون الفرنسية .

وكنت علمت من صديقه حميدة نعيم انه قد اصبح مستشارا لزعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي فرانسوا ميتران . فتذكرت ذلك حين قلت :

— ولكن الا تعتقد يا عزيزي انك تخدم حتى الشؤون الفرنسية خدمة اكبر واسلم اذا اوليت الشؤون العربية اهتمامك ؟

فأقررتي ريجيس دوبريه على رأيي ، وصمت لحظة ينظر الى البعيد بعينه الزرقاوين ، فاقترحت عليه ان يزور لبنان بدعوة من « دار الآداب » التي نشرت كتابين له (١) ، فقال انه يجب ان يزور لبنان لاعتقاده بانـه

(١) « ثورة في الثورة » و « دفاعا عن الثورة » .

وقد تم الاتصال بعدد كبير من الادباء العرب لطلب مشاركتهم في هذا العدد ، وستابع الاتصالات ... ولكننا نعتزف منذ الآن بأنه سيفوتنا الاتصال بأخريـن دون ما ريب .

ونحن نودّ ، في هذه الكلمة ، ان ندعو جميع اصـدقاء « الآداب » ، او حتى جميع اعدائها ، ان كان ثمة اعداء ، ان يشاركوا في هذه المناسبة ، كتاباً كانوا لم قراء . ونأمل ان تبلفنا مشاركاتهم في موعد اقضاه آخر تموز ( يوليـه ) من هذا العام ، حتى تتمكن من اصدار هذا العدد الممتاز في اواخر الصيف القادم ١٩٧٧ .

### ٣ - قضية « الآثار الاولى »

بمناسبة اعادة نشر مجموعاتي القصصية الست في جزئين ، قدّمت للجزء الاول الذي يحمل عنوان « اقصيص اولى » بالمقدمة التالية :

هل يحق لمؤلف ان يحجب عن القراء اثرا ادبيا كف عن ان يمثله ؟

لقد بدأت كتابة القصة وانا لم اتجاوز الخامسة عشرة ، ونشرت لي المجلات والصحف بعض الاقصيص في الاربعينات ، ثم جمعت هذه الاقصيص في ثلاث مجموعات هي « اشواق » و « نيران وثلوج » و « كلهن نساء » التي صدرت ، على التوالي ، أعوام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .

وحين خطر لي اخيرا ان أعيد نشر مجموعاتي القصصية الثلاث التي صدرت بعد ذلك ، وهي « الدمع المرّ » و « رحماك يا دمشق » و « المرء » التي ظهرت على التوالي ، اعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٥ و ١٩٧٣ ونفدت منذ فترة ، تذكرت تلك المجموعات الاولى التي نسيها القراء ، وكذت أنساها معهم ، فخطر لي ان أعيد نشرها .. ولكنني ، اذ رجعت اليها أقرأها من جديد ، أحسست بعدم الرضى عنها ، وحكمت بأنها لا تمثلني بعد ..

بيد اني توقفت عند مضمون هذه العبارة الاخيرة : لا تمثلني « بعد » .. اذن فقد كانت تمثلني من « قبل » ، في فترة من انتاجي .. فهل يحق لي ان اسقطها من حساب التطور الفني الذي مرّ به هذا الانتاج ؟

أني ابتسم الآن لدى قراءتي لكثير من هذه الاقصيص الاولى .. وأحزن أحيانا لما في بعضها من سداجة او قجاجة ، وأنملل لما في بعضها الآخر من تكلف في الاسلوب وتقعّر في اللفـة وحشو واطناب ، حتى لاآكر اني انا كاتبها .. ثم اذكر السنّ التي كتبت فيها ، واذكر الثقافة المحدودة التي رفدتها ، واذكر التجربة الضيقة التي ألهمتها ، فتنشأ لديّ القناعة بأنني لا أتمس المعاذير اذا حكمت بأنها من انتاج الشباب الاول الذي يفتقر الى النضج الحياتي والنضج الفني جميعا ، بالرغم من ان

سيعرف فيه كثيرا من هموم العرب ، فاقررتـه على ذلك ، واكدت له ان الدعوة قائمة ونرحب باستقباله متى شاء . وإبلفته رغبتنا بترجمة كتابيه الاخيرين « مذكرات برجوازي صغير بين نارين واربعة جدران » و « نقد السلاح » ، فاذن لدارنا بترجمتهما وترجمة سائر كتبه ، واقترح ان ننتظر صدور مختصر لـ « نقد السلاح » الذي هو في جزئين ، وأخبرنا انه يكتب رواية جديدة سيوافينا قريبا بنسخة منها .

واتفقت وحميدة نعنـع على ان نوثق علاقتنا بريجيس دوبريه ، املا في ان نكتسب لقضيتنا ضميرا حسرا كضميره ، لا سيما اذا استمرت الرياح تجري في فرنسا بانجاه الاشتراكية .

### ٢ - عدد « اليوبيل الفضي »

تعمل رئاسة تحرير « الآداب » في هذه الفترة على اعداد عدد خاص ضخم بمناسبة بلوغ المجلة عامها الخامس والعشرين .

ويبدل التحرير والادارة كل ما في وسعهما لجعل هذا العدد الممتاز بالمستوى الذي تستحقه المناسبة ... وقد صمّم العدد على ان يكون موضوعه الاساسي : « الفكر العربي الحديث في ربع قرن عبر مجلة الآداب » . وينقسم الى ثلاثة ابواب :

الباب الاول يضمّ دراسات عن تطور الشعر والقصة والنقد والبحث من خلال المجلة ، كما يضمّ مقالات عن مواقف المجلة من القضايا القومية والانتاج الفكري في الاقطار العربية والآداب الاجنبية وقضايا حرية الفكر والتعبير واستفتاءات المجلة وابوابها المستحدثة ، الى ما هنالك من أمور تمتّ الى دور الآداب في حياة العرب الفكرية طوال ربع القرن الماضي .

والباب الثاني يضمّ « شهادات » يدلي بها كتّاب المجلة وقرأؤها على امتداد رقعة الارض العربية ويضمّونها آراءهم وانطباعاتهم وذكرياتهم عن « الآداب » والدور الذي قامت به في حياتهم او تطورهم الادبسي والفني ، شهادات تريدها موضوعية تحتمل الحديث عن المزايا والمآخذ على حد سواء .

اما الباب الثالث ، فيضمّ « مختارات » من « الآداب » تشمل نماذج من القصائد والقصص والدراسات والاستفتاءات وسواها من النماذج التي كان لها شأن خاص او دور معين او تأثير ملحوظ في سيرورة الفنون الادبية وتطورها خلال هذه الحقبة من الزمن .

وسنحاول ان نهيى العدد بفهرس عام للآداب في اعوامها الخمسة والعشرين يوضع على اساس علمسي حديث ، ويفيد من الفهرسات التي أعدّها بعض الدارسين في الجامعات العربية .

## مأساة لبنان : اعلان دموي بافلاس كل مؤسساتنا الثقافية

و حين نقول « مؤسساتنا الثقافية » فاننا نعني كل الهيئات والاجهزة والقيادات التي تشترك في صياغة عقل المواطن العربي ووجدانه .. لان « الثقافة » ليست مرادفة للفنون الجميلة فقط كما يتصور البعض ، ولكنها « ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والاخلاقيات والقانون والعادات والقدرات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع .. » كما يقول عالم الاجتماع الانجليزي ا.ب. تيلور ، بل لعنها تتسع لتشمل ايضا كل ابداعات الانسان المادية ومكشفاتنه وصناعاته ، لما بين جانبي القيم والافكار والماديات من تأثيرات وتفاعلات متبادلة لا يمكن تجاهلها ..

وعلى ذلك فمؤسساتنا الثقافية تشمل كل الهيئات الدينية والعلمية والتربوية والفنية والاعلامية والترفيهية التي تشارك جميعا في صياغة عقل المواطن ووجدانه . وما من كاتب او مفكر عربي جاد الا وارتفعت شكائته من تهاون هذه الهيئات والاجهزة وقصورها عن الوفاء

احيانا يتجمد القلم في اليد حتى لكأنه عود من الحطب الجاف .. تموت الكلمات على سننه قبل ان تولد ، لعجزها عن التعبير عما يجيش بصدر كاتبها .. واي كلمات تستطيع ان تصف تلك المأساة الرهيبة التي عاشها الوطن العربي كله على ارض لبنان خلال العامين الماضيين ؟ ومع ذلك فما اكثر ما كتب وما نشر عن المأساة واسبابها .. من تصارع القوى العالمية الكبرى وخلافات الانظمة العربية .. والتواجد الفلسطيني في الاراضي اللبنانية .. اى العصبية الطائفية والصراعات الحزبية والطبقية والعقائدية .. اما الذي لا شك فيه فهو ان ما حدث يمثل دليلا لا يدحض على فشل السياسات العربية على كل مستوى ، ونجاح مخططات اعداء العرب من الصهاينة والاستعماريين ومن يلوذ بهم من الرجعيين والانتهازيين العرب .. وهو في الوقت نفسه اعلان دموي صارخ بافلاس كل مؤسساتنا الثقافية على مستوى الوطن العربي كله ..

التي تنتهي ، في حساب سن الكاتب ، ببدء « المرحلة الباريسية » ، اذا صح التعبير ، تلك المرحلة التي انتجت اثرا هاما في حياة الكاتب الادبية ، هو رواية « الحي اللاتيني » عام ١٩٥٣ ، والتي ظل تأثيرها واضحا في انتاجه التالي المجموع في « الدمع المر » عام ١٩٥٦ . وقد رايت ان اضم المجموعات الثلاث الاخرى في كتاب واحد كذلك ، بحيث يجد القاريء مجموع انتاجي القصصي حتى الان في هذين الجزئين اللذين يضمان زهاء خمسين قصة .

اما الانتاج الروائي ، فقد آثرت ان ابقى كلام من مرحله الثلاث مستقلا ، وهو « الحي اللاتيني » و« الخندق الفميق » و « اصابنا التي تحترق » ، بالرغم من ان بعض الدارسين يعتبرونه ثلاثية متكاملة .

سهيل ادريس

الدارس يستطيع بلا عناء ان يجد في هذه الاقاصيص الاولى بدورا لجميع النزعات الواقعية والقومية والاجتماعية التي يجدها ناضجة في اقاصيصي التالية .

ولكن هذه الاقاصيص قد صدرت من قبل ، والقيت بين ايدي الناس ، وتناولها النقاد ، فليس لي حق بعد في ان احجبها بدعوى اني غير راض عنها . انها من تاريخي الادبي الذي لا املك ان انكر منه مرحلة ، وأقر مرحلة . فهي اذن ملك القراء والنقاد والمؤرخين .

واتساءل بعد ذلك : انسى لهؤلاء القراء والنقاد والمؤرخين ان يرصدوا التطور الادبي لكاتب ما اذا لم يتح لهم ان يدرسوا مراحل انتاجه ويقارنوا ويقابلوا بين مختلف آثاره ؟

انني اذن ، في هذه المجموعة الجديدة ، ملق باننتاجي القصصي الاول ، دون اي تعديل ، بين ايدي القراء ، هذا الانتاج الذي يمكن ان يوصف بانه « المرحلة الرومانتيكية »